اللاجىء السوري والتعليم الجامعي

د.باكير محمد علي – عميد كلية الآداب في جامعة الزَّهراء بغازي عينتاب– سورية

تمهيد:

وجد المتعلِّم السُّوريُّ نفسه فجأةً قد ألقت به رياحُ الحربِ خارجَ المؤسَّسات التعليميَّة التي استُبيحت دونما رحمةٍ، فلا الأبنيةُ التعليميَّةُ سَلِمَتْ، ولا الكتبُ بقيتْ، ولا القائمون على أمور التعليم من مدرِّسين ومعلِّمين وإداريين جُنِّبوا أحقاد الصراع والقتال. فكان قرار الكثيرِ من المتعلِّمين في كل المستويات التعليميَّة مغادرة البلاد طائعين أو مُكرهين، والأمل يُعَلِّلُهُم بمقاعد الدراسة، وتوديع الجهل في بلاد ليست لهم إيماناً منهم بأنَّ أرضَ اللهِ واسعةٌ، فتوجَّهوا إلى بلاد الغربة والشَّتات يتقلَّبون بين اليأسِ والأمل، والغرق والنجاةِ، وكانت تركيا الصَّديقة الملاصقةُ لوطنهم من جهة الشمال وجهةَ الغالبِ منهم، ولكن هل وجدوا فيها ما أرادوا؟

ويتبع البحث المنهج الوصفي الذي يقوم على جمع المعلومات من المصادر المتاحة، والمنهج التحليلي في تحليل الواقع المدروس، والمنهج الاستنتاجي في استنتاج الأحكام.

وأما مخطط البحث، فيجري كالآتي:

-تمهيد.

أوّلاً-أهمية البحث.

ثانياً -التعليم ما قبل الجامعي للاجئين السوريين في تركيا الصديقة.

ثالثاً-رصد واقع التَّعليم الجامعي لِلاجِئين السُّوريين في تركيا الصَّديقة.

أ-الطالبُ السُّوريُّ الجامعيُّ اللاجِئُ.

ب-الأكاديميون السُّوريُّون اللَّاجِئون في تركيا.

ج-الجامعاتُ السُّوريَّةُ في تركيا.

رابعاً-تحليل المشاهد السابقة (تحليل الواقع).

خامساً-تحديد أشكال معاناة الطلاب السوريين اللاجئين في مرحلة التعليم الجامعي.

سادساً-تحديد دور المؤسسات السورية العاملة التركية في هذا المجال.

سابعاً-مدى استفادة الطّلاب السّوريين اللَّاجِئين من الخِدمات التَّعليميَّة الجامعيَّة التي قدَّمتها لهم تركيا الصَّديقة.

ثامناً–طروحات ومقترحات وحلول.

–المراجع.

أوّلاً–أهميَّة البحث:

تتجلَّى أهميَّة البحثِ في رصدهِ الواقعَ التَّعليميّ الجامعي للاجِئين السُّوريين في بلدان الاغتراب والضَّياع واللجوء والتشرُّد، وتحليلِه هذا الواقع، والوقوفِ على حقيقته، ولاسيَّما في تركيا التي حاولتْ، وتُحاوِلُ جاهدةً أنْ تقف إلى جانبهم، وتُداوي جِراحاتهم بِقدرِ ما تستطيع إذْ فتحت لهم المدارس الابتدائيَّة والإعداديَّة والثانويَّة، وفتحت أبواب بعض جامعاتها لبرامج التَّعليم باللغة العربيَّة، وكذلك تتجَلَّى أهميّة البحث في تلمُّسهِ مستقبل سوريا، ومستقبلَ أهلها، إذْ لا مُستقبلَ لشعبٍ لا تعليمَ جامِعيَّ فيه، ولا نهضةَ لبلدٍ دون بحثٍ علميٍّ أكاديميٍّ، ودون مؤسَّسات تعليميَّةٍ أكاديميَّةٍ بحثيَّةٍ تبني الجيل المتعلّم الواعي القادر على العمل الواعي، والنَّهضة الواعية، المتزوِّدِ بنُورِ العِلمِ والمعرفة والإنسانيَّة والفِكر الإنساني والإسلامي والوطني المستقيم القويمِ، ولاسيَّما أنَّ سنواتٍ خمساً عِجافاً مضتْ دون أن يتخرَّج في المناطق الثَّائرة جيلٌ جامِعيٌّ، بل إنَّ الذين كانوا في الجامعات من أبناء هذه المناطق قد صاروا خارجها صَيْداً للنِّسيانِ والجهلِ والتشرُّد. فهل ما قُدِّمَ لِلَّاجِئ السُّوريِّ من خِدماتٍ تعليميَّة جامعيَّة في تركيا كفَتْه؟ وهل هذه البرامجُ قادرةٌ على تأمين الكوادر التَّعليميَّة الأكاديميَّة المتعلِّمة لخدمة سوريا في المجالاتِ كافَّةً، ولاسيَّما في مجالي التربية والتعليم؟ .

وتتجلَّى أهميَّةُ البحث أيضاً في هدفهِ، وهو تقديمُ مقترحاتٍ وطروحاتٍ وحلولٍ تُلائِمُ وضعَ اللَّاجِئ السُّوريِّ، وتُعينُهُ على التَّعليم الجامعي، وتجعلُ هذا التَّعليم أوَّل اهتمام للشَّعبِ السُّوري اللَّاجِئ إلى الخارج، والنَّازِحِ في الداخل، ولِلَّذين قرَّروا دعمهُ حتَّى النِّهاية.

ثانياً–التعليم ما قبل الجامِعيِّ للاجِئين السوريين في تركيا الصديقة:

المقصود بالتعليم ما قبل الجامِعيّ المراحلُ الابتدائيَّة والإعداديَّةُ والثانويَّةُ، فقد خمَّنت الحكومة التركية في بادئ الأمرِ أنَّ لجوء السوريين إلى أراضيها ينتهي في فترة قصيرةٍ جدَّاً، وهذا ما سمعتُهُ من أكثر من شخصٍ من الإخوة الأتراك، ولذلك لم يُبالوا بالتعليم أوَّلاً، ولكن لما طالَ أمدُ الحرب، واستعرتْ نيران الصراع، وتعقَّدت الأمور إلى درجةٍ زُلزِل فيها الناسُ زلزالاً شديداً، أحَسَّت الحكومة التركيَّة بالحرج، وأدركت خطورة إهمال تعليم اللاجِئين في مدارس مُنتظمة على مستقبل السوريِّين خاصَّة ، وعلى تركيا عامَّةً، لأنَّ الجاهل يغدو تطويعُهُ سهلاً، واستخدامهُ ضدَّ الآخرين ليس صعباً.

وقد ذكر موقع ترك برس الإلكتروني بتاريخ 17/ 10/ 2014م أنَّ وزارة التعليم التركيَّة عمَّمت على مدارسها منح فُرصةِ التعليم مجَّاناً للأجانب اللاجِئين إلى الأراضي التركيَّة بشرط أن يكون مع المتعلِّم اللاجِئ بطاقةُ تعريف شخصيَّة (هويَّةُ لاجِئ) ممنوحة له من إدارات الهِجرة التركيَّة في المحافظات التركيَّة، أو تذكرة إقامة أو ما شابه ذلك[1].

وأوردَ الموقع نفسهُ بتاريخ 10/22 / 2014م أنَّ الَّذين سيُشرِفون على هذه المدارس مُدرِّسون أتراكٌ على ملاك وزارة التَّعليم التُّركيَّة، ويُقدَّم الذين يعرفون اللغة العربيَّة، وأوردت أنَّ المتعلِّمين السوريين الذين كانوا يتلقّونَ التَّعليم في المدارس التي تُشرفُ عليها البلديَّاتُ والمنظَّماتُ المدنيَّةُ بلغ عددهم مئةً وخمسين ألفاً، يدرُسُ سبعون ألفاً منهم في مدارسِ المخيَّمات الموجودة على الأراضي التُّركيَّة في إحدى عشرة ولاية، ويدرُسُ الباقي في مدارس خارج المخيَّمات في مناطق مُختلفة في تركيا. واقتصرت مهمَّة الائتلاف على إعداد المناهج الدراسيَّة[2].

وذكر موقع الجزيرة الإلكتروني بتاريخ 2015/10/4 نقلاً عن مصادر صحفيَّة تركيَّة أنَّ عدد الطُّلاَب السوريين الذين توجَّهوا إلى المدارس في هذه المرحلة في بداية العام الدراسيّ 2015- 2016م بلغ ثلاثمئة وسبعين ألفاً، ليدرسوا في المدارس السُّوريَّة المؤقَّتة، يُضاف إليهم سبعون ألفاً التحقوا بالمدارس الحكوميَّة التركيَّة[3]، وهذا يعني أنَّ العدد بلغ أربعمئة وأربعينَ ألفاً.

وذكر الموقع ذاتهُ في التقرير ذاتهِ نقلاً عن مواقع إعلاميَّة سوريَّة عن فوَّاز العوَّاد مساعد وزير التربيَة في الحكومة السوريَّة المؤقَّتة قولَهُ:" إنَ عدد المدارس السوريَّة في تركيا قد بلغ مِئتين وثلاثين مدرسة، وإنَّ نحو ثلاثمئةِ ألف طالبٍ سوريٍّ باتوا في عِداد المتَسرِّبين من العمليِّة التعليميَّة"[4]

وذكر عبيدة القيسي مُدير المدرسة التركيَّة السوريَّة التي تأسَّست في إستانبول قبل عامين أنَّ المدرسة قائمة على التبرُّعات، وتعمل فترتين صباحيَّة ومسائيَّة لاستيعاب أكثر من سِتمئة طالبٍ وطالبة[5].

وقد بشَّرَ والي غازي عنتاب علي بيرلي كايا كما أورد موقع تركيَّا بالعربيَّة الإلكتروني بتاريخ 2015/10/16 م، بشَّرَ السوريين بأنَّ الحكومة التركيَّة ستُجيبُ كُلَّ طلبات السوريين لاسيَّما المتعلِّقة بالعمل والتعليم، ولذلك دعاهم إلى البقاء في تركيا، وعدم مُغادرتها إلى بلدانٍ أخرى. وكذلك بشَّر المعلِّمين

[1] -ترك برس- موقع إلكتروني- 2014/10/17م.
[2] - ترك برس – موقع إلكتروني - 2014/10/22.
[3] - الجزيرة نت – موقع إلكتروني – 2015/10/4م.
[4] - الموقع السابق.
[5] - الموقع السابق.

والأطباء السوريين بأنَّ وضعهم سيكونُ قانونيّاً مُعترفاً به في تركيا، ولا سيَّما بعد انتهاء الانتخابات التركيَّة[6].

وقد كان هذا التصريح في اجتماع للوالي مع الفعاليَّات السوريَّة من منظَّماتٍ وجمعيَّاتٍ في المدينة، وقد حضر الاجتماع رئيس الحكومة المؤقَّتة وعددٌ من الوزراء.

وأورد موقع العربيَّة نت بتاريخ 2015/11/9 م تقريراً عنوانهُ " ثلثا أطفال اللاجِئين السوريين بلا تعليم" نقلاً عن منظَّمة هيومان رايتس ووتش أنَّ سبعمئة ألف طفل سوري لاجِئ في تركيا في سن الالتحاق بالتعليم، وأن مئتي ألف منهم التحقوا بالتعليم في العام الدراسيِّ السَّابقِ، ورأت المنظمة أن عدمَ التحاق هؤلاء بالتَّعليم خطيرٌ، لأنَّ ذلك يعني أنَّهم سيكونون في المستقبل مُتسوِّلين في الشوارع، أو متطرِّفين، أو محاربين ينتظرهم الموتُ في سوريا، أو مهاجرين عبرَ البِحار إلى أوروبا[7].

وذكر موقع ترك برس الإلكتروني بتاريخ 23/ 2015/12 م نقلاً عن نائب مستشار وزير التَّعليم الوطني التُّركي "يوسف بويوك" أنّ عددَ الطّلاب السُّوريين اللاجِئين بلغ ثلاثمئة ألفٍ في المدارس التُّركيَّة في مرحلة التَّعليم قبلَ الجامعي في المستوياتِ كافَّةً، وأنَّ وزارة التَّعليم الوطني التُّركيَّة تفعل ما بوسْعِها لجذبِ كُلِّ الطُّلاب السُّوريين إلى المدارس الحكوميَّة التركيَّة في النظام التعليمي التُّركيّ بإشراف وزارة التربية في كُلِّ المحافظات التركيَّة، وأنَّ الوزارة تسعى إلى إنشاء مراكز ومدارس جديدة لجذب مئة وخمسينَ ألفَ سوريٍّ إلى المدارس حتّى نهاية العام الحالي[8].

وذكر الموقع نفسه بتاريخ 2016/2/1 م أنَّ الحكومة التُّركيَّة تستعدُّ لطرح موضوع تعليم اللاجِئين السُّوريين في تركيا في مؤتمر لندن الخاصّ بالأزمة السُّوريَّة الذي سيُعقَد في الشهر الرَّابع من هذا العام بحضور رئيس الوزراء التركي أحمد داود أوغلو، وأنَّهُ قد يُنشَأ بناءً على هذا المؤتمر مئةُ مدرسةٍ أُخرى للاجِئين السوريين في تركيا تُضافُ إلى ثلاثمئة مركز تعليمي ومدرسة موجودة فيها، وأنَّ الدِّراسة في هذه المدارس ستكون للمناهج السُّوريّة باللغة العربيَّة[9].

وأورد موقع (آرانيوز) الإلكتروني بتاريخ 2016/2/2 م نقلاً عن السيِّد يوسف بويوك سكرتير نائب وزير التَّعليم التُّركي أنَّ الحكومة التُّركيَّة ستدعمُ تعليمَ اللاجِئين السوريِّين في تركيا بتخصيص مليار يورو مِمَّا تعهَّد الاتِّحادُ الأوروبيّ بتقديمه لتركيا لمساعدة اللاجِئين السوريين على أراضيها، وبتخصيص رواتب لأهالي

[6] - تركيا الآن – موقع إلكتروني – 2015/10/16م.
[7] - العربية نت – موقع إلكتروني – 2015/11/9م.
[8] - ترك برس – موقع إلكتروني – 2015/12/23م
[9] - الموقع السابق – 2016/2/1.

الطلاب، وتخصيص وسائل نقل للطلاب المسجّلين في مدارس بعيدة من مساكنهم، وأنَّ ذلك سينعكس إيجاباً على المدرِّسين والمعلِّمين السُّوريين العاملين في تعليم الطلاب السوريين في تركيا. وهؤلاء – كما ذكر – يبلغ عددهم في تركيا (9500) معلّم ومُعلِّمة[10]. وأكّد مصدرٌ في مديرية التربية في عنتاب دارَ حوارٌ بيننا قرب هذه الأرقام من الأرقام الموجودة عندهم، وأيّد فكرة افتتاح بعض الجامعات التي تدرِّس المقررات العربية، لتكون معينة للجامعات التركية في استيعاب الطلاب السوريين في مرحلة التعليم الجامعي، لكنه لم يستصوب فكرة أن تكون لهم جامعات خاصة بهم بعيداً عن البيئة التركية، وكذلك استصوب فكرة أن تستفيد تركيا من السوريين الذين يحملون الجنسية التركية إلى جانب الجنسية السورية، ليكونوا جسراً فعّالاً بين المجتمعين التركيّ والسوريّ.

وذكر الموقعُ ذاتُهُ في هذا التَّقرير أنَّ التَّقارير الأُمَميَّة تُؤَكِّد أنَّ أكثر من مليوني طفلٍ سوريٍ في دول الشَّتات وفي الدَّاخل السُّوري لا يملكونَ حقَّ التَّعليم بسبب الصّراع الدَّائر في بلادهم[11].

وقليلةٌ هي الأخبار التي تتحدَّث عن وضعِ المعلِّمين والمدرِّسين السُّوريين اللَّاجِئين في تركيا عدا بعض الإشارات إلى عددهم، وصعوبةِ ظروفهم، وقِلَّة رواتبهم، والاستشهاد برأيِ بعضٍ منهم.

ولكن أورد موقع تركيا الآن الإلكتروني بتاريخ 2016/2/21 م أنَّ قطاعَ المعلِّمين السُّوريين اللاجِئين في تركيا استطاعَ أن يُشكِّل نقابةً رسميَّةً مُعترفاً بها من السلطات التركيَّة؛ لأنَّها – نقابة المعلِّمين السوريَّة – استطاعت أن توقّع مذكَّرة تعاون مع نظيرتها التركيَّة على هامش اللقاء العاشر الذي عقدتهُ نقابة المعلِّمين التركيَّة في مدينة أنطاليا قبل أيَّام قليلة من نشر هذا الخبر، وقد حضرهُ مُمثِّلو نقابات في ست عشرة دولة عربيَّة وآسيويَّة وإفريقيَّة وأوروبيَّة، منها السودان والجزائر والمغرب وماليزيا والهند....[12]

وأكّد مصدرٌ في مديرية التربية في عنتاب في حوار دار بيننا قُرب هذه الأرقام من الأرقام الموجودة عندهم، وأيّد فكرة افتتاح جامعات تدرّس المقررات العربية باللغة العربية، وتكون معينة للجامعات التركية في استيعاب الطلّاب السوريين، لكنه لم يؤيد فكرة افتتاح جامعات تعزل الطالب السوريّ عن البيئة التركية، وذهب إلى أنه ينبغي على الدول الدّاعمة للشعب السّوريّ أن تتبنى سياسة واضحة في هذا الخصوص، لإنقاذ الإنسان السوريّ من الجهل، ولتهيئته أكاديمياً للمساهمة الفعّالة في بناء البلد الذي هو لاجئ في، وفي بناء بلده سوريا.

وخُلاصةُ ما جاء في هذه المواقع التي نقلت معلوماتها عن مصادر رسميَّة تركيَّة وسوريَّة مُعارضة وأُمميّة:

---

[10] - آرا نيوز – موقع إلكتروني – 2016/2/2م

[11] - الموقع السابق.

[12] - تركيا الآن – موقع إلكتروني – 2016/2/21م.

1. عدد المتعلِّمين السوريِّين اللاجِئين في تركيا في مرحلة التعليم قبل الجامعي ضخمٌ جدّاً.

2-عدم رِضا السُّوريين اللاجِئين بالواقع التَّعليمي لهم في هذه المرحلة في تركيا.

3-تدنِّي رواتب المعلِّمين والمدرِّسين في هذه المرحلة.

4-بدأت عمليَّة التَّعليم في هذه المرحلة تحت إشراف البَلَدِيَّاتِ والمنظَّمات والجمعِيَّات المدنيَّة والخيريَّة.

5-تحوَّلَ الإشراف على هذه المدارس في عام 2014-2015 م إلى الحكومة التُّركيَّة.

6-تنبُّه الحكومة التُّركيَّة إلى أهميَّة تعليم اللاجِئين السُّوريين في هذه المرحلة.

7-سعيُ الحكومة التُّركيَّة إلى تعليم جيِّدٍ للَّاجِئين السُّوريين.

8-عدم وجود رؤيةٍ واضحة لتعليم اللَاجِئين السُّوريين في هذه المرحلة.

9-قِلَّة الكفاءات السُّوريَّة المستخدمة في هذه المرحلة.

10-غِياب المؤسَّسات والمنظَّمات والجمعِيَّات والهيئات الحكوميَّة والمدنيَّة الخيريَّة التي تُقدِّم الدَّعمَ الأوّليّ للمدرِّس اللَّاجِئ أوَّلَ قدومه إلى تركيا حتّى عثوره على عمل يُناسبهِ.

ثالثاً-رصد واقع التَّعليم الجامعي لِلاجِئين السُّوريين في تركيا الصَّديقة:

يتناولُ هذا الرصد ثلاثة مشاهد أساسيَّة لهذه المرحلة، المشهد الأوَّل يتناول الطالب السّوري الجامعي اللَّاجِئ والخدمات التي قُدِّمت لهُ إلى الآن في تركيا، ويتناول المشهد الثاني الأُستاذ الجامعيّ السوريَّ اللَّاجِئ في تركيا والخدمات التي قُدِّمت له إلى الآن، ويتناول المشهد الثالثُ الجامعاتِ السُّوريَّة الناشِئة في الدَّاخل المشتعِل، وفي بلاد الغُربة والمهجر واللجُوء:

أ-الطالبُ السُّوريُّ الجامعيُّ اللاجِئُ:

لم يَفقد بعضُ الطَّلبة السُّوريّين الأمل في التَعليم الجامعي ، أو في استكمالهِ بالرُّغمِ من نيران الحروب والأحقاد التي تلتهم بلادهم، فذكَرَ موقع الجزيرة الإلكتروني بتاريخ 2012/9/26 م أنَّ الحُكومة التركيَّة قرَّرت السماح للطُّلاب السوريين باستكمال دراستهم في الجامعات التُّركيَّة دون الحصول على شهادة من هذه الجامعات، فالغاية تعويض الدروس التي فاتَتْهُم، وقد تباينتْ ردود الأفعال التركيَّة- بحسب الموقع الذي أورد الخبر - على هذا القرار بين مؤيِّدٍ لهُ، ومُعارضٍ يرى فيه تعدِّياً على حقوق الطَّلبة الأتراك، واقتصرت هذه النّظرةُ الإنسانيَّةُ على قبولهم في جامعات المدن القريبة من الحدود السُّوريَّة، وهي (غازي عنتاب، ومرسين، وأنطاكيا، وأورفة، وكيليس، وعثمانيَّة)[13] .

[13] - الجزيرة نت - موقع إلكتروني – 2012/9/26م.

وأورد موقع عنب بلدي الإلكتروني بتاريخ 20/ 7/ 2014 م تحت عنوان (الدِّراسة الجامعيَّة في تركيا للطُّلاب السُّوريين) أنَّهُ يتعيَّنُ على الطالب السوري الحاصل على الشهادة الثانويَّة، الرَّاغب في الالتحاق بالجامعات التركيَّة أن يجتاز امتحان (يوس) التُّركي الذي يتضمَّن معلوماتٍ في اللغة الإنكليزيَّة والرِّياضيَّات، وأن يجتاز اختبار (تومر) مما يعني بقاءَهُ عاماً أو عامين لتجاوز هذه الاختبارات عدا تكلفتها التي تتراوح من خمسين ليرة تركيَّة حتَّى مئة دولار أمريكي بحسب شهرة الجامعة[14] .

وذكر الموقعُ ذاتُهُ في هذا التَّقرير أنَّ أسلوبَ المنح الدِّراسيَّة أحدُ مسالك الأمل للطالب السُّوريِّ اللاجِئ في تركيا، وإن كانت هذه المنحة شاملةً لكل الأجانب في تركيا، يتقدَّم إليها 12000 ألف طالب، فيُقبل منهم 600 طالب[15] .

ونقل الموقع عن مصدر في الحكومة السُّوريَّة المؤقَّتة أنَّ عدد الطلاب السُّوريين اللاجِئين الذين تقدَّموا إلى الجامعات التركيَّة عام 2012م بلغَ 5000 طالب معظمهم من التركمان الذين يُجيدونَ اللغة التّركيَّة، وتقدَّم للجامعات الخاصَّة 2500 طالب[16] .

وشكَّلت الجامعات التركيَّة الخاصّة بحسب الموقع نافذة أملٍ لهؤلاء المساكين؛ لأنَّها لا تطلب إليهم امتحان اليوس، ولا تعديل الموادّ، وخفَّفت لهم الرسوم بنسبة 50 % [17] .

أمَّا جامعة إينونو في ملاطيا التركيَّة فقد أعلن رئيسُها عن موافقة الجامعة على قبول كل الطُّلاب السوريين المتقدِّمين إلى تلك الجامعة للعام الدِّراسيّ 2014 -2015 م ، ووعد بقبول طُلاب الدِّراسات العُليا في التخصصات المعتمدة في الجامعة[18]. وأكّد مسؤولُ الطلّاب التركمان، وهو طالب سوريّ من تركمان سوريا يدرس في هذه الجامعة، في اتّصال هاتفي معه أنّ الجامعة لم تفِ بوعدها.

وذكر موقع عنب بلدي الإلكتروني نقلاً عن الإحصاءات الصادرة عن مجلس التَّعليم العالي التُّركي بتاريخ 2015/9/20 أنَّ عدد الطُّلاب السُّوريين الذين يدرسون في الجامعات التركيَّة بلغ في العام الدراسي 2014- 2015 م (4597) طالباً، وتوقَّع تضاعف عددهم في العام الدِّراسي2015-2016 م بسبب التسهيلات المقدَّمة لهم[19].

---

[14] - عنب بلدي – موقع إلكتروني – 2014/7/20م.
[15] - عنب بلدي – موقع إلكتروني – 2014/7/20م.
[16] - الموقع السابق.
[17] - الموقع السابق.
[18] - ترك برس – موقع إلكتروني – 2014/9/20م.
[19] - عنب بلدي – موقع إلكتروني – 2015/9/20.

ونقلت مواقع إلكترونيَّة عِدَّة منها موقع تركيا بالعربي، وموقع الجزيرة نت، وموقع الخليج الجديد في تواريخ متباينة نقلاً عن وزير التربية التركي عن إبرام اتّفاقيَّة بين تركيا وقطر لافتتاح جامعة عربية في غازي عنتاب تُدرِّس الطُّلاب السوريين باللغة العربيَّة، وتستوعبهم [20] .

وذكر موقع عنب بلدي الإلكتروني بتاريخ 2016/5/28 م نقلاً عن تقرير لصحيفة زمان التركيَّة نشرته بتاريخ 2016/5/27 م أنَّ عدد الطُّلّاب السوريين الدَّارسين في الجامعات التركيَّة تضاعف بشكل تدريجي من (608) طالب في العام الدراسي 2011-2012 م ليصبح (962) طالباً في العام الدراسي 2012-2013 م، وارتفع الرقم إلى (1785) طالبٍ في العام الدراسي 2013-2014م، ووصل العددُ إلى (4597) طالبٍ في العام الدراسي 2014-2015م[21] .

ب–الأكاديميون السُّوريُّون اللَّاجِئون في تركيا:

المقصود بهم حَمَلَةُ شهادات الدكتوراه. وأعلى ما حصل عليه هؤلاء هو مجلس الأكاديميين الأحرار الذي لم يحظَ بحسب رئيسه الحالي الدكتور محمَّد كرديَّة ، بأيّ دعم مالي أو تعاون من الحكومة التركيَّة وغيرها، ولا من المنظَّمات المدنيَّة والجمعيَّات الخيريَّة، ولم يُخصَّص أيُّ مبلغ أو أيُّ راتب لأحد من أعضائهِ؛ لذا لم يستطع هذا المجلس أن يُنجز، أو يُحقِّق شيئاً من أهدافهِ التي منها تأمين عمل للأكاديميين، وإنشاء مركز للبحوث والدراسات وغيرها، ورأى الدكتور كرديَّة أنَّ تجاهل هذا المجلس الذي يتجاوز عددُ الأكاديميين المسجَّلين فيه مئة وخمسين أكاديميَّاً، دفعَ الكثير من الأكاديميين إلى ركوب أمواج الخطر، والهجرة في قوارب الظلامِ والموت إلى أوروبا حيثُ الأخبار الواعدةُ بواقعٍ أفضل، أو العمل في مهنٍ لا تليق بمستواهم العلمي، ولا بأعمارهم سعياً وراء لقمة العيش والكفاف.

وتفطَّن الإخوة الأتراك في نهاية عام2015م إلى خطورة الوضع، فجاءت دعوة الأكاديمي التركي "مراد أردوغان" الأستاذ المساعد ومدير مركز البحوث السِّياسيَّة والهجرة في جامعة "حاجي تبه" في أنقرة إلى إنقاذ الوضع، والتَّوجُّه نحو تعيين الأكاديميين السوريين في الجامعات التركيَّة، للاستفادة منهم، واستثمار طاقاتهم ذاكراً أنَّ عددهم في تركيا 500 أكاديمي، وقد ذكر أردوغان أنَّ إهمالَ الأكاديميين دفعهم إلى الهجرة إلى أوروبا، أو في التفكير بالهجرة إليها، وأنَّ هؤلاء سيكونون جسرَ التَّواصُل مع السُّوريين اللَّاجِئين في تركيا. وقد ورد هذا الخبر على موقع ترك برس الإلكتروني بتاريخ 2015/12/27 م [22] .

---

[20] - ترك برس - الجزيرة نت – الخليج الجديد – مواقع إلكترونية .

[21] - عنب بلدي – موقع إلكتروني- 2016/5/28م.

[22] - ترك برس – موقع إلكتروني – 2015/12/27م.

فتحرَّك موضوعُ الأكاديميين السُّوريين في تركيا بعد هذه الدَّعوة، وبدأت التَّقاريرُ الإعلاميَّة تهتم شيئاً ما بتوضيح وضعهم مستندةً في ذلك إلى بعض التَّصريحات من المصادر الرَّسميَّة. فذكر موقع أخبار الآن الإلكتروني أنَّ سبعةَ عشر ألفاً على الأقل تمَّ إحصاؤهم من حملة شهادات الدكتوراه والطِّبِّ والصَّيدلة قد غادروا سوريا إلى بلاد المهجر دون أن يذكر ما نصيبُ تركيا من هؤلاء؟ لكنَّهُ ذكر أنَّ قوانين العمل واللغة والابتزاز من الشركات الخاصَّة كانت تُواجههم[23].

ثمَّ أثمر التَّعاون – بحسب الموقع – بين الحكومة السوريَّة ومنبر الجمعيَّات السُّوريَة – وهو تجمع لعدد كبير من الجمعِيَّات الرَّسميَّة المرخَّصة في تركيا، وهو جهة رسميَّة تعترف بها الحكومة التركيَّة – عن تقديم قاعدة بيانات بـ 570 أكاديميَّاً في سوريا بينما أعلن المسؤول عن المساعدات الإنسانيَّة في رئاسة الوزراء التركيَّة عن إحصاء ما يزيد عن 550 أكاديميَّاً سوريَّاً وُظِّفَ منهم في الجامعات التركيَّة 315 أكاديميَّاً[24].

فعقدت الحكومة التركيَّة في الشهر الأوَّل من عام 2016م اجتماعاً في أنقرة لبحث وضع الأكاديميين السُّوريين، حضرهُ كبيرُ المستشارين والمسؤول عن شؤون الهجرة والمساعدات الإنسانيَة في رئاسة الوزراء التركيَّة "محمَّد مرتضى يَتش" ورؤساء جامعات تركيَّة، وممثِّلون عن مجلس التَّعليم، وأكاديميون سوريون، ووزيرا الاتّصالات والنقل والصناعة والصحَّة "محمد ياسين نجَّار"و"محمَّد وجيه جمعة " عن الحكومة السوريَّة المؤقَّتة.

وزُبدةُ ما وصل إليه الاجتماعُ، الاهتمامُ بوضع الأكاديميين السوريين، وإنشاءُ قاعدة بيانات لتوظيفهم في الجامعات التركيَّة إنْ دعتِ الحاجة. هذا ما ذكرهُ موقع وزارة الاتّصالات والنقل والصناعة في الحكومة السوريَّة المؤقَّتة بتاريخ 2016/1/29م[25].

وجاء بعدَ ذلك تصريح للبروفسور عبد الله جاوش أوغلو نائب رئيس مجلس التَّعليم التركي ذكر فيه نِيَّة الحكومة التركيَة بتوظيف الأكاديميين السوريين في الجامعات التركيَّة، وإنشاءِ قاعدة بيانات لهم عبر بريدين إلكترونيين أحدهما له، والآخر لمكتب مستشار رئيس الوزراء لشؤون الهجرة والمساعدات الإنسانيَّة. وقد ورد هذا الخبر على موقع ترك برس الإلكتروني بتاريخ 2016/2/3م[26].

وذكر موقع الجزيرة نِت بتاريخ 24/ 2016/2 م أنَّهُ شُكِّلت لجنة مكوَّنة من خمسة أكاديميين سوريين، وممثِّلين عن هيئة التَّعليم العالي والجامعات التركيَّة لمتابعة مسألة الأكاديميين السُّوريين اللَّاجِئين في تركيا[27].

---

[23] - أخبار الآن – موقع إلكتروني -

[24] - الموقع السابق.

[25] - وزارة الاتصالات والنقل والصناعة في الحكومة السورية المؤقتة – موقع إلكتروني – 2016/1/29م.

[26] - ترك برس – موقع إلكتروني – 2016/2/3م.

[27] - الجزيرة نت – موقع إلكتروني – 2016/2/24م.

ولعلّه يحسن في هذا المقام سردُ معاناة بعض الأكاديميين السوريين الذين لجؤوا إلى تركيا، ومنهم الدكتور عدنان الذي عانى من البحث عن عمل وسكن مناسبين، ومن استخراج الهويّة المؤقّتة التي ستقيّد إقامته في مدينة معيّنة، وستُقيِّد تنقّلاته، وعانى من الرّوتين في دوائر الدّولة، لأنّ الموظَّف لايستطيع مخالفة القانون الذي لايتناسب في كثير من الأحيان مع وضع اللاجىء السّوريّ، لأنه قانون صِيغ للمواطنين الأتراك المستقرِّين، ولم يُصَغ للاجئين السوريين، ويرى أنّ الحكومة التركية تُغلِّب الجانب العاطفيّ في تعاملها مع اللاجئين السّوريين، ويرى أيضاً أنّ السُوريين في بلاد الشَّتات لم يرتقوا بعدُ إلى درجة الحِسّ بالمسؤولية، وكذلك الدكتور خالد الذي عمل لفصل واحد في إحدى المؤسسات السورية، فهو وزوجه لا يملكان عملاً، ولايجدان من يُقدّم لهما المساعدة، وهما يسكنان مع ولديهما الصغيرين في غازي عنتاب في بيت تبلغ تكاليف استئجاره مع الماء والكهرباء ألفَ ليرة تركية تقريباً في الطابق الأخير من البناء، ويشكو أكاديميٌّ سوريٌّ آخر حصل على الجنسيّة التُّركيّة، لم يرتضِ ذكرَ اسمه، من عدم تعديل شهاداته الجامعيّة التي حصل عليها في سوريا، لأنّ مجلس التعليم العالي التّركي في انتظار انتهاء الحرب السّوريّة، وتشكيل حكومة سوريّة تعترف بها تركيا، يتمّ التّواصلُ بها، ويقول هذا الأكاديميُّ: "إنّ اختصاصي تحتاج إليه كثيرٌ من الجامعات التّركيّة، وهي تستقدم المدرّسين لهذا الاختصاص من الدّول العربيّة، ولا تستفيد من أمثالنا الذين نحمل الجنسية التركية إلى جانب الجنسيّة السّوريّة، فقد حصلتُ على الجنسيّة التركيّة، لأنّ والدتي تُركيّة ، وظننتُ أنّي أكون محظوظاً صاحبَ حقَّين، وجسراً للتّواصل بين المجتمعين، وإذٍ بي أَجدُ نفسي خارج السِّياق. فأنا أستطيعُ أن

أُقدّم كثيراً من الأدلة القانونيّة والمنطقيّة الصّحيحة التي تُثبِتُ صِحّة شهاداتي الجامعيّة".

وأُجمِلُ أبرزَ المسائل التي وردت في المشهدين السابقين:

1-إهمالٌ من الجهات الرَّسميَّة والمنظَّمات المدنيَّة والجمعِيَّات الخيريَّة في البداية للكفاءات العلميَّة اللَّاجِئة، وفي مُقدِّمتها الأكاديميون.

2-هجرة الكفاءات العلميَّة إلى أوروبا، أو التَّفكير بالهجرة إليها.

3-تنبُّه متأخِّر، لكنَّهُ مُستحسَن لمسألة الكفاءات العلميَّة الأكاديميَّة.

4-الوضع الاجتماعيّ والمعيشيّ الصّعب للكفاءات العلميَّة الأكاديميَّة.

5-تنبُّه الإخوة الأتراك لهذه المسألة وخطورتها قبلَ السُّوريين.

6-تحرُّك الحكومة التُّركيَّة لتدارُك الأمر.

7-انعقاد مؤتمر في أنقرة لبحث مسألتهم.

8-البرنامج العربي في الجامعات التركيَّة حلٌّ لمشكلة الطلاب السُّوريين.

9-إنشاء قاعدة بيانات لهم.

9-تشكيل لجنةٍ مشتركة تركيَّة سوريَّة لمتابعة أوضاعهم.

ثُمَّ جاءت الدِّراسةُ البحثيَّةُ الصَّدمةُ التي قامت بها جامعة (حاجي تَبَه) التُّركيَّة. فقد ذكرت مواقع إلكترونيَّة مثل ديلي صباح العربيَّة، والمركز الصحفي السوري، ومرآة سوريا الإخباري بتاريخ 2016/3/4، وتاريخ 2016/3/5 م أنَّ نسبة الأُميَّة بين اللَّاجِئين السوريين في ألمانيا 5%، ونسبةُ الأميَّة بين اللّاجِئين السّوريين في تركيا 50%، وأنَّ نسبة الجامعيين بين اللاجِئين إلى ألمانيا70% بينما عددُ الجامعيين السُّوريين اللاجِئين إلى تركيا أربعون ألفاً، فعدَّ رئيس مركز دراسات الهجرة والسياسة في جامعة (حاجي تَبه) الدكتور (مراد أردوغان) هذا الأمر كارثيّاً[28].

إذاً، بعد خمسِ سنواتٍ من الهجرة والتنبُّهِ المتأخِّرِ، والمقارنة مع بُلدانِ المهجَرِ الأُخرى تبيَّنتِ الكارثةُ، وتَوضَّحتِ المشكلةِ، وبرزَ الخطرُ واضحاً.

ج-الجامعاتُ السُّوريَّةُ في تركيا:

حاول بعضُ الأكاديميين السوريين الذين تنبَّهوا لهذا الخطر منذُ عامين أن ينهضوا بأنفسهم، وأدركوا أنَّ المستقبلَ الزَّاهرَ الواضحةَ معالمُهُ، القويَّةَ أركانُهُ لا يُبنى إلّا بالعلمِ المنظَّم في مؤسَّساتٍ تعليميَّةٍ أكاديميَّة تنهضُ بالشبابِ، وتُغذِّيه المعلوماتِ الصحيحة التي تنهض به، وتُهيِّئُهُ لخدمة وطنه سوريا، فجاءت المحاولات بافتتاح جامعاتٍ خاصَّةٍ يقفُ غيابُ الاعتراف عنها، وتكاليفُ الدّراسة الباهظة حاجزاً بينها وبين الطلاب الرَّاغبين في متابعة تحصيلهم العلميِّ، فاسمُها يجذبُهُم إليها، والسَّببان المذكوران يُبعِدانهم عنها، فبقي بعضُها مجرَّدَ إعلانٍ، وكان بعضُها تمثيلاً لجامعةٍ أخرى كاتّحاد خرِّيجي العلوم الشرعيَّة الذي يُمثِّل جامعة طرابلس اللبنانيَّة، ويكتفي في هذه المرحلة بكليّة الشريعة، واستطاع بعضُها أن يُوقِّعَ مذكَّرة تفاهم مع جامعاتٍ رسميَّة، فكانت جامعةُ الزَّهراء في غازي عنتاب التي حصلت على اعترافٍ أوَّليٍّ من جامعة إفريقيا العالميَّة في السُّودان، وذلك بتوقيع مذكّرة تفاهُم معها بتاريخ 2015/3/24م، وقد نالت جامعة الزهراء من جامعة إفريقيا العالمية حقّ الاعتراف والانتساب الأكاديميّ إليها بثلاث كليات هي كلية الدراسات الإسلامية، وكليّة التربية، وكلية الاقتصاد وإدراة الأعمال بتاريخ 2016/5/10م، واكتَفَتْ بالكليَّات النَّظريَّة الأدبيَّةِ منها والعلميَّة كالدِّراسات الإسلاميَّة وكليّة الآداب بأقسام اللغة الإنكليزيَّة والعربيَّة والإعلام،

[28] - ديلي صباح التركية – مرآة سوريا الإخباري – المركز الصحفي السوري – مواقع إلكترونية – 4-2015/3/5م.

وكليّة التربية، وكليّة الاقتصاد، وكليّة هندسة الحاسوب. واللّافِتُ أنَّ القائمين على هاتين المؤسَّستين هم أكاديميون سوريُّون متخصِّصون في مجالاتهم، أكْفاءُ في تخصُّصاتهم العلميَّة.

رابعاً–تحليل المشاهد السَّابقة : (تحليل الواقع):

إنَّ التَّدقيق والنَّظر في المشاهد السّابقة ينتُج عنهما واقعٌ تعليميٌّ أليمٌ، ومستقبلٌ غامِضٌ ينتظر السّوريين، لعلَّ فيه من الآلام والأوجاع والظُّلمات ما يزيدُ عناءَهُم، ويزيدُ إطباقَ الجهل عليهم. وستجد الدُّول والشعوبُ المناصرة للشعب السّوري نفسها في مشكلةٍ قد يتعقَّدُ حلُّها.

فالشَّعبُ السوريُّ شعبٌ وَلودٌ، وهذا يعني أنَّ المدارسَ في مرحلة التعليم قبلَ الجامعي سيزدادُ عددُها تَزايداً مُتسارِعاً، وهذا يحتاجُ إلى معلّمين ومدرِّسين أكفاء من الجنسين لمواكبة هذا التزايُد، والقيامِ بمتطلَّبات العمليَّة التَّعليميَّة في هذه المرحلة، وأنَّ تأمينُ هذا العددِ من المعلِّمين والمدرِّسين دون أن تكون للسوريين جامعاتٌ تُعِدُّهُم لمثلِ هذا الأمر؟ وقد قيل: إذا كان هدفُكَ عاماً، فازرع أرضاً، وإذا كان هدفُك عشرةَ أعوام، فاغرس قمحاً، وإذا كان هدفُكَ مئةَ عامٍ، فربِّ وعلِّم إنساناً. فما تقدَّمت الأمم إلا بالعلم، ولا نهضت الدُّوَل إلا به، وما جاءت شريعةٌ سماويّةٌ بسواه فالخالقُ تعالى جعل أوَّلَ أمرٍ في الدِّين الإسلامي الذي ختمَ به الشّرائعَ علماً بقولهِ للرسُّول محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَم: "**اِقرأْ باسم ربِّك الذي خلق**" [29].

وإنَّ إهمالَ التَّعليم الجامعيِّ للاجِئين السُّوريين له نتائجُ خطيرةٌ على الجميع في الواقع والمستقبل، فهو يزيدُ الأُميَّة بينهم، ويجعلهم عالةً على غيرهم، ولاسيَّما أنَّ الأكاديميين الموجودين الآن سيكونون إلى زوالٍ حقيقيٍّ أو فِكريٍّ بسبب إهمالهم والتَّغاضي عن وضعهم المعيشيِّ الصَعب، وعدم الاستفادة منهم، ولا استثمارِ قُدراتهم.

فقد يكون من السَّهل أنْ تُزوِّدَ أيَّ شعبٍ بالغذاءِ والماء والسِّلاح دون أن يكون منتجاً لها، ولكنَّك لا تستطيع بأيّ حالٍ من الأحوال أنْ تَزوِّده بمدرِّسين ومعلِّمين وموظَّفين يكفونَ حاجته، ويقومون بخدمتهِ وتدبير أُمورِه دون أن يكون لأبناء هذا الشَّعب دورٌ كبيرٌ في ذلك. وقد بذل الإخوةُ الأتراكُ مشكورين ما استطاعوا، فافتتحوا المدارس للاجِئين السُّوريين، وبرنامجَ التعليم باللغة العربيَّة في الجامعات التركيَّة الحدوديَّة، وقدَّموا المِنَح، واستعانوا ببعضِ الأكاديميين السوريين لا سيَّما الذين جاؤوا أوَّلاً في الجامعات التركيَّة، إلا أنَّ ذلك كلَّه لم يكن كافياً لسدِّ حاجات السوريين في هذا المجال. فمشهدُ التَّعليم الجامعي للاجِئين السوريين مازال غيرَ واضِحٍ يتقلَّبُ بين الآراء والطروحات والطّموحات. فما يفعلُ ما يُقاربُ سِتّةَ آلافِ طالب

[29] - سورة العلق- الآية:1.

جامِعيٍّ يدرسون في الجامعات التركيَّة بعد خمس سنوات على الصِّراع فيما يُقاربُ ثلاثة مليونِ لاجِئٍ سوريٍّ في تركيا.

إذاً، فالواقع التعليميُّ المتردِّي في مرحلة التَّعليم الجامعي يُحتِّم علينا جميعاً وضعَ الحلولِ المناسبة دون تمهُّلٍ وإهدارٍ للوقت، ويقتضي سرعةً مطلقةً في اتِّخاذ القرار الصحيح وتنفيذه. فَكُلُّ سنةٍ تمضي على اللَّاجِئين السُّوريين تُخلِّف وراءها آلافاً من الشباب السوريين خارج الجامعات، وتُحرِّض كثيراً ممَّن في مرحلة التَّعليم ما قبل الجامِعي على ترك المدارس؛ لأنَّ أُفُق المستقبل أمامهُ يكادُ يكون مسدوداً. وقد ذكر موقع أخبار تركيا الآن بتاريخ 2016/3/26 م أنَّ رئيس الجمهوريَّة التركيَّة السيِّد رجب طيّب أردوغان جلس على مقعد الدِّراسة في إحدى مدارس الأئمَّة والخطباء التركيَّة، فترك رسالةً على السبّورة قبل مغادرته جاء فيها: " تعلَّم، فكِّر، طبّق، وسترى النتيجة..... وقُل ربّي زِدني عِلماً " فهذه رسالتهُ للشعب التركي الذي هو في هذه الحالة المتقدِّمة من التطوُّر والنجاح. فماذا عن الشعب السوري الذي عندهُ أكثر من مليوني متعلِّم خارج المؤسَّسات التعليميَّة؟ .

وإذا اعتمدنا أنَّ عدد المتعلِّمين في مرحلة التَعليم قبلَ الجامعي بلغ إلى الآن في تركيا سبعمئة ألفٍ، وافترضنا أنَّه سيتِمُّ استيعابهم جميعاً في المدارس، في كل مدرسة ألفُ طالبٍ، فهذا يقتضي سبعمئة مدرسةٍ، وإذا افترضنا أنَّ كلَّ شعبةٍ فيها أربعون طالباً، فهذا يعني أنَّ كُلَّ مدرسةٍ فيها خمسٌ وعشرون شُعبةً، وكلُّ شعبةٍ تحتاجُ إلى معلِّم في المرحلة الابتدائيَّة، ومجموعة مدرِّسين مُتخصِّصين في المرحلتين الإعداديَّة والثانويَّة، وهذا يجعلنا بحاجة إلى سبعة عشر ألفاً وخمسمئة معلِّم، فإذا اكتفينا بمعلِّمٍ واحدٍ لكل شُعبة، ويجعلنا بحاجة إلى أكثر من عشرين ألف مُعلِّم ومدرِّسٍ إذا أدخلنا في الحساب المدرّسين المتخصصين في المرحلتين الإعداديَّة والثانويَّة. فأنَّى تأمين هذا العدد الكبير دون افتتاح جامعاتٍ عربيَّة سوريَّة أو غير سوريَّة يكون هدفها الأوَّل إعداد الكوادر المؤهَّلة أكاديمياً وعلمياً وتربوياً لخدمة المجتمع السوري؟

فنحن أمام هذا الواقع الصعب المرير بالحسابات الحاليَّة للواقع الموجود الذي تأزَّم بسبب عدم وجود رؤية واضحة لهذا الأمر منذ خمس سنواتٍ، فماذا لو أدخلنا في حساباتنا الأعدادَ المتزايدة من الولادات التي بلغت إلى الآن في تركيا وحدها مئةً وخمسين ألفاً، فهؤلاء وحدهم يحتاجون بعد ست سنوات إلى مئة وخمسين مدرسةً ابتدائيَّةً، وثلاثةِ آلافٍ وسبعمئةٍ وخمسين معلِّماً.

وهذا يستدعي المعالجة السريعة لهذا الواقع الذي سيؤدّي إلى سوريا أغلبُ سكانها يغرقون في أمواج الجهل، يتخبَّطون في حياتهم، يتصارعون في الأميَّة سنين تُرهقهم، ويجعلهم عُرضةً لمخاطر ربّما تكون أخطر من التي صُبَّت عليهم الآن؛ لأنَّ الجاهل يسهُلُ قيادُهُ وتضليلُهُ وتطويعُه.

وإذا افترضنا أنَّ الصِّراع في سوريا دام سنوات أخرى، فهذا يعني أنَّ تركيا ستتحمَّل أعباء إضافيَّة ما لم تتدارك الأمر بالتعليم المنظَّم لهؤلاء اللَّاجِئين، بالتعليم الذي يبدأ بالمرحلة الابتدائيّة ويتدرَّج لينتهي بالتّعليم الجامعيِّ الذي تَعقُبهُ مرحلة الدراسات العليا من ماجستير ودكتوراه. فالأُميَّة ستستشري بين اللاجِئين، وسترتفع مستوياتها ونِسبُها، فإذا بلغت إلى الآن خمسين بالمئة، فهذا يعني إذا لم يُتلافَ الأمرُ بالخطوات السَّريعة الصحيحة الحاسمة، فإنَّ هذه النسبة قد تبلغ بعد سنتين سبعين بالمئة على الأقل .

وإذا افترضنا أنَّ الصراع في سوريا انتهى بعد سنتين، وعادَ اللَّاجِئون إلى بلدهم سوريا، وبقي وضعُهم التَّعليميّ بهذه الصُّورة، فهذا يعني أنَّ تركيا ستتعامَل مع شعبٍ نخرَ الجهلُ عظامَه، وصلَّبَتِ الأُميّةُ فكرَهُ، وسيتطلَّب منها هذا المستقبلُ الذي افترضناهُ أن تقوم بدورها في مساعدة هذا الشعب على التّعلم والنُّهوض، وسيكون هذا الأمرُ أصعبَ عليها؛ لأنهم ما عادوا في أراضيها، وستجِدُ المنافسةَ من الآخرين في هذا المجال.

فما يضيرها لو اغتنمتِ الفُرصةَ الآنَ، وشبَّكتِ العلاقةَ في هذا الإطار مع المخلصين من السُّوريين الذين لن يتأخروا، ولن يتردّدوا في التّعاون معها في سبيل نهضتهم ومستقبل بلدهم، وتشبيك علاقته بتركيا.

خامساً –تحديد أشكال معاناة الطُّلّاب السُّوريين اللَّاجِئين في مرحلة التَّعليم الجامعي:

تعدَّدت الأسبابُ والمعوِّقاتُ التي صدمت الطالبَ اللَّاجِئ في هذه المرحلة، فالطالب مصطفى قدّم الثانوية على المنهاج الليبي، وتعذّب كثيراً في سبيل الانتساب إلى إحدى الجامعات التركية دون جدوى، ودفع مبالغ مرهقة له؛ لتعلّم اللغة التركية، وأما الطالب حمزة، فبحث كثيراً عن المنح التي يمكن أن تكون حلّاً لدخوله إحدى الجامعات التركية، لكنه لم يُفلح، لأنه شهادته الثانوية إماراتية، وأمّا الطالب عبدالله، فلم يجد صعوبة في تعديل شهادته الثانوية التي حصل عليها في سوريا، لكنه عانى كثيراً في تعلم اللغة التركية بسبب التكاليف المادّيّة الباهظة التي تطلبها مراكز تعليم اللغة التركية التي تمنح شهادات تعلُّم اللغة التركية التي تؤهّل الطلاب الأجانب لمتابعة الدّراسة في الجامعات التركية، فهو قد عبر الحدود وحيداً، ولم يجد مَن يُقدّم له يد المساعدة، ولم يعثر على عمل يسدّ به تكاليف الدراسة، ولم يُهيَّأ له الحصول على منحة، ولعلَّ أبرز المعوِّقات التي صدمت الطالب السوريّ في هذه المرحلة:

1–غِياب الجِهة الرَّسميَّة الرَّاعية لهم رعايةً منتظمة تُحصي عددهُم، وتقفُ على مشكلاتهم، وتتلمَّس الحلول المنطقيَّة لها بما يُناسبُ وضعَهم.

2–غياب الجهة الرسميَّة التي تُمثِّلهم، وتُوصِل قضاياهم إلى كُلِّ من أبدى استعداداً لمناصرة الشعب السُّوريِّ حميَّةً دينيَّةً أو قوميَّةً أو إنسانيَّةً.

3-ارتفاع الأقساط الجامعيَّة في برامج التَّعليم باللغة العربيَّة، فكأنَّ الأقساطَ المحدَّدة لسائحٍ لا لِنازِح.

4-عائق اللغة التي تأخذُ سنَتَين أو أكثر من عمرِ الطالب، وقد تكون في معظم الأحيان أزمةً فوق أزْمَتِهِ.

5-ظروف المعيشة الصَّعبة، لاسيَّما أنَّهُ تركَ خلفَ الحدود في بلادِهِ أغلبَ ما يملكهُ، فجاء مع أُسرتِهِ إلى المهجر؛ ليبدؤوا من نقطة الصّفر.

6-غُموضُ المستقبل الذي ينتظرهُ بسبب غُموض مستقبل بلده.

7-تعدُّد الجهاتِ التي تَتجاذَبهُ لِحمْلِ السِّلاح بدل حمل الكِتاب.

ولعلَّهُ يحسُنُ هُنا ذكرُ معاناة الأكاديميين اللَّاجِئين في تركيا؛ لارتباطهم بالتَّعليم الجامعيّ:

1-غيابُ المؤسَّسات الرَّسميَّة والمدنيَّة والخيريَّة التي تحتضِنُهُم أوَّل مجيئِهِم إلى تركيا؛ لتُقدِّم لهم المعُونةَ الأوَّليَّة من غذاءٍ ولِباسٍ تقيهم ذُلَّ المسألةِ.

2-غِيابُ الدَّورِ الفاعل لمجلس الأكاديميين الأحرار الذي يُمثِّلُهُم لِغياب الدَّعم المادّي والمعنوي عنه.

3-عدمُ تعديل الشَّهادات بذريعة عدم وجود جهة رسميَّة في سوريا يُخاطِبُها مجلسُ التَّعليم العالي التُّركي.

4-عدمُ وجود جامعاتٍ عربيَّة تحتضنُهُم، وتستثمر قُدراتهم.

5-اللُّغة التي جعلت معظمهم يعيشُ غُربةً لغويَّةً إلى جانب الغُربة الجَسديَّة.

6-عدم تخصيص مساكن لهم تُخفِّف عنهم وَطء الاستئجار، ولو كانت هذه المساكن بشكل بيوتٍ مؤقَّتة (كرفانات).

سادساً-تحديد دور المؤسَّسات السُّوريَّة العاملة على الأراضي التُركيَّة في هذا المجال:

تعدَّدت المؤسَّسات السُّوريَّة العاملة على الأراضي التركيَّة، وكلُّها مُنِحَ التَّراخيص، وتصدَّر المشهد تحت شِعار تقديم المساعدة والمعونة للَّاجِئين، فكان توزيع الغذاء والملبس، لكن لم يخطرْ ببال هذه المؤسَّسات أن تُخصِّص جزءاً من هذه المعونات والمساعدات لأهل العِلم والشهادة والخِبرة والكفاءة حتَّى إنَّك تسمع أنَّ شخصاً ما لديه أربَعُ بِطاقاتِ معونةٍ حصل عليها من جِهاتٍ مُتعدِّدة، ولا يحصلُ صاحبُ الشَّهادة والعلمِ والخبرة على أيَّةِ معونةٍ، فوضعُهُ العِلميُّ وحَياؤُهُ يمنعانِهِ الذَّهابَ إلى أبواب هذه المؤسَّسات؛ ليُزاحِم النَّاس، ويُدافِعَهُم متعرِّضاً لِصُراخِ هذا، وانتهار ذاك، ولم تلتفت هذه المؤسَّسات – لاسيَّما أنّ معظم موظَّفيها من أصحاب الشهادات الجامعيَّة – إلى تخصيص قسمٍ في مؤسَّستهم أو منظَّمتهم أو جمعيَّتهم لتقديم هذه المعونات لهؤلاء الكفاءات ريثما يحصلون على عمل مناسبٍ يَقيهم ذُلَّ السُّؤال، ويكفيهم مؤونة العيش.

سابعاً-مدى استفادة الطّلاب السّوريين اللَّاجِئين من الخِدمات التَّعليميَّة الجامعيَّة التي قدَّمتها لهم تركيا الصَّديقة:

لما كان الطالبُ أحد أركان التَّعليم الجامعي، لم يكن بُدٌّ من الاهتمام برأيِه، والاستئناس بتصوّره، والاستماع إليه، فتبيَّن في لقاء مع رئيس مكتب الطلبة السوريين للخدمات الجامعيَّة الذي مركزهُ مدينة غازي عنتاب، ونشاطهُ يَشمَلُ كُلَّ تركيا أنَّ خمسةً وثلاثين بالمئة من الطلاب السوريين اللَّاجِئين في تركيا يستفيدون من هذه الخِدمات، علماً أنَّ المكتب مرخَّص دون أنْ يحظى بأيّ دعمٍ ماليٍّ من رواتب لأعضائه أو غيرها من جهة حكوميَّة تركيَّة أو مؤسَّسة مدنيَّة أو منظمة أو جمعيَّة خيريَّة، فالمكتبُ عددُ الناشطين فيه خمسةٌ وخمسون طالباً متطوِّعاً، ويرى رئيس هذا المكتب جواباً على سؤال مطروح: أنَّه ينبغي تجنيبُ الطالبِ السّوري اللاّجِئ عالَمَ السِّياسة؛ لأنَّهُ لما ينضُج بعدُ، فعليه أنْ يتعلَّم، ويتثقَّف أوَّلاً قبل أن يخوضَ في هذا وذاك. ولدى استطلاع آخر شمَلَ الطلاب في اتّحاد خرّيجي العلوم الشرعيَّة تبيَّن أنَّهم لا يحصلون على شيءٍ من هذه الخدمات، ورأت إحدى الطالبات أنّ الطلبة الموجودين في المخيَّمات يستفيدون من هذه الخِدمات أكثر من الذين يكونون خارجها، ولكن بنسبة قليلةٍ جدّاً.

وفي استطلاع للرأي لعدد من الطلاب السوريين اللاجِئين في تركيا في أوساطٍ متعدِّدة تَعزَّز هذا الرأيُ، فأغلبهم لم يحظَ بدعمٍ أوَّليّ قُدِّمَ له أوَّلَ مجيئه إلى تركيا، ومعظمُهم لا يحصلُ على إعانةٍ مادِّيَّةٍ الآن، ويدعو إلى أن تكون هناك مؤسَّساتٌ تُركيَّة حكوميَّة وجمعيَّات ومنظمَّات تمدُّ يدَ المساعدة الجامعيَّة لهم متى احتاجوا إلى ذلك، وأن يكون مشهدهُم حاضراً في كُلِّ مؤسَّسةٍ تركيَّة أو سوريَّة أو دوليَّة؛ ليشعروا بالاطمئنان والثقة في واقعهم وعلى مستقبلهم.

ثامناً–طروحات ومقترحات وحلول:

إذاً، هذا هو الواقع لمرحلة التَّعليم الجامعي للَّاجِئ السُّوري في تركيا، أعدادٌ كبيرة للطّلاب، ولا وجودَ رسميَّاً لجامعات عربيَّة تستوعبهم، وعدم قُدرة الجامعات التركيَّة على استيعابهم جميعاً، وارتفاع الأقساط الجامعيَّة في الحلول المطروحة سابقاً، ومحاولات لإنشاء جامعات عربيَّة، لكنَّها دون ترخيص من الحكومة التركيَّة إلى الآن، وعددٌ كبير من الأكاديميين السوريين في تركيا، ووضعٌ معيشيٌّ بائسٌ لمعظمهم، واستيعابُ بعضهم في الجامعات التركيَّة، لاسيَّما في كليَّات الإلهيَّات، وهجرةُ الكفاءات السوريَّة من تركيا إلى أوروبا، وتفكيرُ بعضها بالهجرة مع رغبتها بالبقاء في تركيا، ومجلس الأكاديميين السوريين معطَّل لغياب الدَّعم، وصعوبة تنقُّل بين المحافظات، وتنبُّه الحكومة التركيَّة لخطورة المشهد، ومحاولتها إنقاذ الوضع.... ولكن ما الحلُّ؟ وما المستقبل المأمولُ في هذا المجال؟ وبناءً على هذا أُقدِّم هذه المقترحات والحلول:

1–التَّرخيص لافتتاح جامعات سوريَّة عربيَّة مقرُّها الأساسي في الدَّاخِل، تعملُ الآن على الأراضي التركيَّة بِصورةٍ مُؤقَّتة، تُدرِّسُ مناهج عربيَّة باللغة العربيَّة، يُديرُها ويُدرِّسُ فيها أكاديميُّون سوريُّون.

2-التَّرخيص لافتتاح معاهد ضمنَ الجامعات لتعليم اللغة العربيَّة للنَّاطقين بغيرها، ولاسيَّما الإخوة الأتراك، يُديرُها، ويُدرِّسُ فيها أكاديميُّون سوريُّون.

3-افتتاح سنة تحضيريَّة لدراسة اللغة العربيَّة في هذه الجامعات لتهيئة الطلاب الأتراك والأجانب للدِّراسة في كليَّات الإلهيات وأقسام اللغة العربيَّة في الجامعات التركيَّة، والجامعات السوريَّة المقترح افتتاحُها.

4-تقديم الدَّعم اللَّازم لمجلس الأكاديميين السوريين، وعدِّه جهة رسميَّة مع وزارة التَّعليم العالي في الحكومة المؤقَّتة لمخاطبة الجهات الرَّسميَّة التُّركيَّة بما يخصُّ التَّعليم الجامعي للَّاجِئين السُّوريين من طلابٍ وأكاديميين.

5-تشكيل لجنة مشتركة فيها أعضاء من مجلس التَّعليم العالي التركي، ومن وزارة التَّعليم العالي في الحكومة السوريَّة المؤقَّتة، ومن مجلس الأكاديميين السُّوريين لتعديل شهادات الأكاديميين السُّوريين ومَن في حكمهم الحاصلين على الشهادة الجامعيَّة والماجستير والدكتوراه من الجامعات السوريَّة أُسوةً بتعديل الشهادات الثانويَّة .

6-فرض غرامة ماليَّة ثقيلة، وعقوبة سجن وترحيل من الأراضي التركيَّة لكلِّ من يَثبُتُ تقديمُه لهذه اللجنة وثائقَ مزوَّرة يدّعي بموجبها أنَّهُ حاصل على شهادةٍ جامعيَّةٍ أو ماجستير أو دكتوراه. وهذا الشَّرط ضروريٌّ لمنع المزوِّرين من الاعتداء على مستقبل السُّوريين بهذه الطَّريقة غير الأخلاقيَّة .

7-إنشاء منظَّمات أو جمعيَّات في كل محافظة تركيَّة فيها عددٌ كبيرٌ من اللاجِئين السوريين، مَهمَّتُها تقديمُ الدَّعم الأوَّلي لأصحاب الشهادات الجامعيَّة ريثما يحصلون على عملٍ يُناسبهم بشرط أن يُقدِّموا لهذه المنظَّمات ما يُثبِتُ ذلك من خلال وزارة التَّعليم العالي السوريَّة، أو مجلس الأكاديميين السوريين،

8-الإيعاز إلى الجمعيَّات والمنظَّمات المدنيَّة والخيريَّة الحاليَّة وإلى المؤسَّسات التركيَّة من بلدِيَّاتٍ ومديريَّاتِ ثقافةٍ لتقديم التَّسهيلات اللَّازمة للطُّلاب الجامعيين والأكاديميين وحملة الشهادات الجامعيَّة السوريَّة.

9-عدُّ البِطاقات الشَّخصيَّة المؤقَّتة (كِمْلِكْ) بمنزلة الإقامة للأكاديميين السوريين.

10-السَّماح للأكاديميين السوريين اللاجِئين في تركيا بالدُّخول والخروج عبر المعابر الحدوديَّة مع سوريا؛ للتَّدريس في الجامعات السوريَّة القائمة في المناطق المعارضة كجامعة الشام العالميَّة في قرية شمارين المتاخمة لحدود كِلس، وجامعة حلب الحُرَّة.

فَما من أُمَّةٍ نهضتْ بغير العِلمِ، وما مِنْ دينٍ جاء بغير العِلمِ حتَّى الخالقُ تعالى يُريدُ أن يُعبَدَ بِعلمٍ، وقد قصر الخشيةَ الحقيقيَّة منه على عِباده العلماء فقال: " **إنَّما يخشى اللهَ من عِباده العُلماءُ** "[30] .

1-القرآن الكريم.

[30] - سورة فاطر:28.

2-أخبار الآن – موقع إلكتروني.
3-آرانيوز-موقع إلكتروني.
4-ترك برس-موقع إلكتروني.
5-تركيا الآن-موقع إلكتروني.
6-الجزيرة نت – موقع إلكتروني.
7-الخليج الجديد – موقع إلكتروني.
8-ديلي صباح التركية – موقع إلكتروني.
9-العربية نت – موقع إلكتروني.
10-عنب بلدي – موقع إلكتروني.
11-مرآة سوريا الإخباري – موقع إلكتروني.
12-المركز الصحفي السوري – موقع إلكتروني.
13-وزارة الاتصالات والنقل والصناعة في الحكومة السورية المؤقتة – موقع إلكتروني.